

تجليات البيئة وأزمة الانتماء في سيرة أحمد سوسة العلمية

ومنهجه في كتابة التاريخ

اياد كاظم راجح*

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المعلومات المقالة	الملخص
تاريخ المقالة :	مثلت البيئة التي عاش احمد سوسة بين جنباتها بطبيعتها البشرية والجغرافية وما شهدته من حوادث تاريخية مهمة ، عاملا مهما من عوامل تشكل شخصيته الفكرية ، حتى تركت أثرا واضحا في اختياراته المعرفية ، كذلك كانت أرضا خصبة لتلاقح مغذياته الروحية الأولى الأمر الذي تجلى في ما بعد في أزمة انتماء واضحة عانى منها احمد سوسة وأخذت منه حيزا فكريا وسلوكيا كبيرا . تجلت هذه الأزمة بدورها أيضا في منهجه في البحث التاريخي .
تاريخ الاستلام: 2022/8/28	ولد احمد سوسة بحدود سنة 1900 للميلاد في مدينة الحلة وفيها كانت نشأته الأولى ، وقد جمعت الحلة يومها بين كثير من متنوعات المجتمع العراقي ، فمن الناحية الدينية كانت الحلة تضم الى جانب المسلمين من مختلف المذهب ، عددا من الأسر اليهودية العريقة الوجود في أحيائها قد اعتادت العيش مع بقية ابنائها بلا منغصات أو فتن .
تاريخ التعديل : -----	من ناحية أخرى كان مجتمع الحلة يجمع بين طابعي الريف بتفاصيله العشائرية والزراعية ، والحضر باقتصادياته التجارية وثقافته وراثته الحضاري الذي يمتد في عمق التاريخ لآلاف السنين يجد ، لذلك ، المتتبع لسيرة أحمد سوسة منذ الولادة والنشأة الى الوفاة سنة 1982م ، مرورا بمراحل حياته الدراسية والوظيفية وتحولاته الفكرية الكبرى حضورا واضحا لبيئته بتفاصيلها كلها ، مثلما يجد في منهجه في كتابة التاريخ أثرا واضحا لخبرته التخصصية في هندسة الري وموقفه من الاديان السماوية الكبرى حتى بات متفردا في منهجه اصيلا في موضوعاته التاريخية .
قبول النشر: 2022/8/29	
متوفر على النت: 2023/1/15	
الكلمات المفتاحية :	
تجليات ، البيئة ، أزمة الانتماء ، أحمد سوسة ، التاريخ .	

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2022

المقدمة:

لعل من أبرز ما يميز التاريخ بوصفه علما ، صعوبة ، ان لم نقل استحالة ، الاقتراب من حقائق يمكن التعبير عنها بالمطلقة ليس بسبب فردية التاريخ واهتمامه بالجزئي من الوقائع ، في قبال الكلية التي تتمتع بها الحقول المعرفية ذات المنهج التجريبي ، لذلك يصعب الفصل بين الوقائع التاريخية التي يتوصل اليها المؤرخ وبين معطياته الذاتية : الثقافية والنفسية ، وقد ذهب بعض الفلاسفة الى عدها ، بوصفها أداة تفسير الحوادث التاريخية وفهمها ، جزءاً مهماً من الوقائع نفسها ، حتى قال كروتشه بناء على ذلك : " كل التاريخ تاريخ معاصر " .

يعد البحث في خلفية المؤرخ الثقافية والأجواء التي عاشها وتعاطى معها حتى تركت أثرا في نفسه وفكره ، يعد أمرا ، في ضوء ما تقدم ، في غاية الأهمية . وعلى الرغم من أن الباحث قد خص المؤرخ أحمد سوسة بدراستين سابقتين أحداها رسالة للماجستير نوقشت عام 2003 ، وجد أن من المهم متابعة تجليات البيئة والحوادث والخصوصيات والتحولات التي مر بها أحمد سوسة

- 1 - موقعها الجغرافي المميز على ساحل الفرات الغربي فضلا عن طابعها الريفي ذو الصلة بالحياة الزراعية
- 2 - تعدد الأديان والطوائف والقوميات التي كانت تقطنها
- 3 - تركيز مواقع آثار حضارة العراق القديمة بالقرب منها حيث مدينة بابل القديمة .

يعود تاريخ مدينة الحلة الى العصر السلجوقي وتحديدًا الى المحرم من سنة 495هـ اذ حل فيها بنو مزيد الاسديين بزعامه صدقة بن منصور المزيدي وأسس إمارة الحلة مستغلا الصراع بين أقطاب السلاجقة في ذلك الوقت ، ومعنى حلة : القوم النزول وفهم كثرة ، وكانت تسمى قبل ذلك بالجامعين ، الاسم الذي احتفظت به أقدم محلات الحلة حتى عصرنا هذا ، قال ياقوت الحموي (ت626هـ) : " ... وكان أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي ، وكانت منازل آبائه الدور من النيل ، فلما قوي أمره واشتد أزره وكثرت أمواله لاشتغال الملوك السلجوقية بركياريق ومحمد وسنجر أولاد ملك شاه بن ألب أرسلان بما تواتر بينهم من الحروب انتقل إلى الجامعين موضع في غربي الفرات ليبعد عن الطالب ، وذلك في محرم سنة 495 ، وكانت أجمة تأوي إليها السباع فتزل بها بأهله وعساكره وبني بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وتأنق أصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأً ، وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياة سيف الدولة ، فلما قتل بقيت على عمارتها ، فهي اليوم قصبة تلك الكورة..."³.

والراجح ان منطقة الجامعين كانت تضم مدينة عامرة وقد خربت بعد تأسيس الحلة على مقربة منها⁴ ، ويبدو ان المدينة الجديدة قد شملتها في وقت لاحق .

يعتمد النشاط الزراعي في منطقة الحلة على ري نهر الفرات الذي يدخل السهل الرسوبي شمال مدينة الحلة ثم يتفرع الى فرعين : شط الحلة وشط الهندية وذلك بعد انشاء سدة الهندية في أواخر العهد العثماني ، وقد عانت المنطقة من الفيضانات

طيلة حياته التي امتدت لاثنتين وثمانين عاما تقريبا ، ويمكن حصر هذه المؤثرات التي أخذت مأخذها في ثقافة أحمد سوسة ورؤيته الفكرية بالبيئة التي ولد ونشأ فيها ومن ثم بأزمة الانتماء التي واجهها في بعض مراحل حياته .

لذلك يحاول هذا البحث تسليط الضوء على تجليات البيئة وأزمة الانتماء في الشخصية العلمية لأحمد سوسة ومن ثم في منهجه في كتابة التاريخ فجاء البحث بثلاثة مباحث أساسية :

المبحث الأول : هو توصيف المجتمع الذي نشأ أحمد سوسة بين جنباته مع محاولة الوقوف على أهم المؤثرات والأزمات والتحولت الكبرى التي تعرضت لها شخصية أحمد سوسة خلال مراحل النشأة والدراسة والعمل وأثر ذلك في سيرته العلمية .

المبحث الثاني : رصد مواضع التأثير البيئي والفكري في مدى موضوعية أحمد سوسة في منهجه التاريخي .

المبحث الثالث : رصد تجليات الخبرة التخصصية في منهج البحث في التاريخ عند أحمد سوسة وأهمية اعتماد المنهج الميداني .

وختم البحث بمجموعة من الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة .

اعتمد الباحث في هذا البحث مصادر ومراجع متنوعة كان أهمها مؤلفات أحمد سوسة نفسه فضلا عن القليل الذي انجز بشأنه وما كتبه الرحالة الأجانب في أوضاع منطقة بابل والحلة تحديدا وهي المدينة التي نشأ فيها سوسة .

المبحث الأول : البيئة والعصر وأثرهما في سيرة أحمد سوسة العلمية :

ولد نسيم سوسة في اسرة يهودية عام 1900م ، على أرجح الروايات ، في مدينة الحلة التي تقع الى الجنوب من بغداد بحوالي 100 كم ، ونشأ في أحد أزقتها الضيقة على حد تعبيره¹ ، حتى عام 1921 اذ سافر الى بيروت لغرض الدراسة ، وتسمى بأحمد نسيم عند إعلان إسلامه في القاهرة سنة 1936² ، ولعل أهم ما يميز مدينة الحلة التي تعد من أكبر مدن العراق ثلاث ميزات :

الهندية في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الأول من سنة 1913 فكان البرد شديدا قارسا فحضرته مع أبناء بلدي لنشاهد انطلاق المياه من أمام السدة (القناطر) وانسيابها نحو بلدة الحلة . ولقد كان لهذا اليوم المشهود أثر عميق في نفسي وانطباع راسخ في ذهني الصغير إكبارا واعجابا بمعجزة الفن الهندسي وعبقورية مصمم هذا المشروع العظيم الذي أحى منطقة جنوب الفرات بأسرها. وإن أنسى فلن أنسى ذلك اليوم وأنا ممتطٍ صهوة مهرتي أسرع مع جمهرة من الفلاحين والمزارعين وهم يحدون باناشيدهم العربية العامية فرحين مهللين ، وكنا نمضي على طول طريق النهر نسابق مجرى المياه الذي كان ينساب فوق الرمال الجافة كالأفعى بين منعطفات عقيق النهر حتى وصلنا وإياه الى بلدة الحلة ، فأقبلت الجماهير المتحشدة تستبشر بالبشرى السارة وهي ترحب بوصول المياه وقد غطتها رغوة بيضاء فأعادت الحياة الى هذه المنطقة الزراعية الغنية بعد أن حرمتها يد الأقدار من عماد وجودها سنوات طوال"⁹.

ضمت التركيبة السكانية للحلة، الى جانب الاغلبية العربية المسلمة، أقليات من اليهود والأرمن والأتراك¹⁰ ، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان عدد سكانها قرابة الخمسة عشر ألف نسمة بحسب ما ذكره الرحالة الهولندي آينهولت¹¹ ، وفي عام 1881 زارت السائحة الفرنسية ديوفولا الحلة وأشارت الى تركيبها السكانية قائلة : " الحلة إحدى المدن التابعة لحكومة بغداد وقيل لي أنها اجتاحتها في سنة 1831م وباء الطاعون ، وذهب ضحايا له عدد كبير من أهاليها ، إلا أنها يسكنها اليوم خمسة عشر ألف نسمة تقريبا وهم خليط من العرب والكلدان وصناع اليهود ومثريهم وجماعة من الشيعة الإيرانيين ، وموظفي الباب العالي ... ويضاف الى ذلك أن في هذه المدينة فئات أخرى كالأعراب الذين يقطنون بيوت الشعر والخيم والزوار الذين يكثر عددهم في مواسم خاصة عندما

المتكررة بسبب ضعف تنظيمات الري في العراق على مر العصور ، وذكر بعض الرحالة الاجانب تأثر منطقة بابل بالفيضان في العهد العثماني ، قال الرحالة الهولندي آينهولت الذي زار الحلة عام 1867م : " ... وكان علينا لبلوغ الحلة أن ننعطف عن الطريق المغمورة بمياه الفرات الفائضة التي انتشرت في بعض الأراضي الواطنة ومضت لتختلط بماء دجلة ، وقد جعلتني هذه الدورة أمر على مقربة من التل الذي كنت تقوم عليه في ما مضى جنائن بابل المعلقة..."⁵.

ويحدثنا الرحالة الإيطالي ديلالافيه عن الطبيعة الخلابة لمدينة الحلة التي زارها عام 1616م فيقول: ... وفي البيوت حدائق عامرة بمختلف أنواع الأشجار المثمرة ، خاصة النخيل، ونظرا لارتفاع هذه الأشجار وكثافتها فقد أرسلت ظلالها على البلدة كلها فالناظر اليها من بعيد لا يرى سوى غابة نخيل واسعة..."⁶. لكن حال مدينة الحلة لم يكن على هذه الوفرة من المياه في مطلع القرن العشرين ، فقد بدأت مياه الفرات تتدفق بكثافة الى نهر الهندية الذي حفره آصف باشا الهندي بداية القرن التاسع عشر لإيصال المياه الى النجف، وكان ذلك التدفق على حساب نهر الحلة الذي كانت مياهه تقل تدريجيا حتى مات تماما في حدود سنة 1886م ، وقد أزرى هذا الحال بأهل الحلة كثيرا ، و قال يوسف كركوش الحلي بهذا الشأن : " ... وبذلك ذهبت أهمية الحلة من الوجهة الزراعية والتجارية ونزح أكثر أهاليها وقراها التي حول نهرها الى أماكن أخرى ، منهم من نزح الى الهندية ، ومنهم الى الشامية ومنهم الى أماكن أخرى..."⁷.

ثم سعت الحكومة العثمانية في إصلاح الأمر فقامت بمحاولات عدة لإنشاء سدة على الفرات لتنظيم المياه⁸ حتى أنجز في عام 1913 مشروع سدة الهندية ، الذي صممه وأشرف على تنفيذه المهندس البريطاني وليم ويلكوكس ، فوصلت المياه عبر هذا المشروع الى الحلة من جديد . وقد كان افتتاح هذا المشروع وما رافقه من ابتهاج أهل المنطقة مما علق في ذاكرة نسيم سوسة وعبر عنه في مذكراته ، قائلا : " كان موعد افتتاح مشروع سدة

يقدمون لزيارة بعض المواضع والمزارات الواقعة بجوارها ...¹².

من المعلوم ان الوجود اليهودي في منطقة بابل قديم جدا يعود الى حادثة السبي البابلي الأول 597 ق.م والسبي البابلي الثاني 586 ق.م ، وعلى مر العصور اللاحقة كالعصر الإخميني (539-331 ق.م) والعصر الساساني (226-637م) والعصور الاسلامية ، كان هناك وجود يهودي واضح في العراق ولاسيما بابل وقد انشئت مدارس يهودية عدة في العراق منها مدرسة سورا جنوب بابل¹³ ، وقد وردتنا احصائيات عن أعداد اليهود في بابل تعود الى القرن الثاني عشر الميلادي فقد ذكر الرحالة الاندلسي بنيامين التطيلي الذي مر بالحلة في خلافة المستنجد العباسي (555-566هـ/ 1160-1170م) أن هنالك عشرون ألف يهودي يقيمون على نحو ميل واحد من أطلال بابل ولديهم كنيس ، وفي الحلة التي اشار الى انها تبعد خمسة أميال من الأطلال يوجد عشرة آلاف يهودي عندهم أربع كنائس ، وفي قرية أسماها : نفاحة يوجد مائتا يهودي وفيها كنيس ، وعلى بعد ثلاثة فراسخ منها يجاور بعض اليهود مرقد النبي حزقيال (ذي الكفل)، وذكر بعض طقوس اليهود التي كانت تقام في هذا المرقد بشكل منتظم ولاسيما في الأعياد اليهودية¹⁴. لكن أحمد سوسة لا يربط وجود أسرته في الحلة بيهود العراق القدماء ذوي الأصول الفلسطينية ، بل يرى أن أسرته آل سوسة تعود الى أصول عربية ، وتحديدًا الى قبيلة يمانية اسمها بني سوسة ، وقد نزح بعض افراد هذه الأسرة الى الفرات الأوسط بعد أن أمر الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ) بإخراج اليهود من جزيرة العرب مع تعويضهم عما تركوه من أراضيهم الزراعية ، وقد انحدرت أسرة آل سوسة التي كانت تمتن الزراعة مع مجرى الفرات ثم استقرت في الصقلاوية فيما سكن موثي سوسة والد نسيم في بغداد ثم انتقل بعائلته الى الحلة قبل ولادة نسيم سوسة¹⁵.

ثمة إشارتان في مذكرات أحمد سوسة الى ما أسميناه أزمة الانتماء وقد عدهما سوسة أقدم حادثتين بينت له الفوارق في

الانتماء بين أسرته اليهودية والمجتمع المسلم الذي كانت تعيش بين جنباته في الحلة، كانت الحادثة الأولى هي اسلام عمه شاؤول الذي نزل خبره كالصاعقة على الأسرة التي عاشت حالة من الحزن والقلق ، قال أحمد سوسة : "كنت أصغي الى الأفواه وهي تردد همسا والحسرة طاغية على عليها قولها : انه صار مسلما ..."¹⁶ ، أما الحادثة الثانية فهي تعرض نسيم سوسة في صغره الى توبيخ والده بسبب صداقته مع طفل مسلم اسمه قدري وهو زميله في المدرسة وكان ذلك الطفل قد أهدى له هدية على شكل طير ، فأمره والده بضرورة ارجاع الهدية وعدم الاختلاط مع ذلك الطفل¹⁷. كانت الحادثة الأخيرة في أثناء دراسة نسيم سوسة الابتدائية في مدرسة الإليانس التي افتتحت لها فرع في الحلة سنة 1907 وكانت قد أسستها في بغداد ومدن عراقية أخرى جمعية الاتحاد الاسرائيلي في باريس ، لتعليم أبناء الطائفة اليهودية وكانت تسمح لغير اليهود بالدراسة فيها¹⁸. وعلى الرغم من أن احمد سوسة قد ألقى في مذكراته اللوم في كلا الحادثتين على تعنت أسرته اليهودية التي كانت واقعة تحت تأثير أخبار اليهود المتعصبين بحسب وصفه ، لكن ذلك لا يمنع من التساؤل عن موقفه من نظام الكتاتيب وهو نظام التعليم الاسلامي السائد بل الوحيد في تلك الايام والذي لم يكن بإمكانه ولوجه بسبب يهوديته بطبيعة الحال ، وكان قد تعلم على يد والده القراءة والكتابة باللغتين العربية والفرنسية ثم خصص له معلما يعلمه اللغة التركية¹⁹ قبل افتتاح مدرسة الإليانس ثم حرم من التعليم بعد اغلاق تلك المدرسة ، قبل أن يضطر الى السفر الى بيروت لإكمال دراسته بعد أن دخل عقده الثالث من العمر²⁰. لا شك في أن لهذه المفارقة أثرها البالغ في نفس نسيم سوسة وان لم يبح بذلك في مذكراته .

ومما ميز بيئة الحلة التي نشأ سوسة فيها ، أيضا ، المواقع الأثرية القريبة التي تعود الى عصور الحضارة البابلية ، ولقد كان لهذه المواقع صلة ما بسكان الحلة وبواقعهم المعيش ، وهذا ما يظهر مما نقله السواح الأجانب الذين ما انفكوا يتجشمون عناء

الترحال ويقدمون من كل فج عميق لزيارة تلك الآثار والبحث والتأمل فيها ثم يصفونها في كتاباتهم ، كذلك كانوا كثيرا ما يقتنون ما يمكن حمله من مخلفاتها، فينقل لنا ديلافاليه²¹ ما عده خرافة كانت تسود بين السكان المحليين بشأن آثار بابل تتعلق بالملكين هاروت وماروت وكيف تعلقا بحب آدمية لجأت اليهما لحل مشكلتها مع زوجها ، فطلبا منها أن يقارباها فوافقت واشترطت عليهما تعليمها الدعاء الذي بواسطته يتنقل الملائكة بين السماء والأرض فعلماهما وما ان تلفظت به عرجت الى السماء وبقي الملكان معلقين بشعرهما محبوسين في بابل بعد ان غضب الله عليهما لإفشاءهما السر . وبسبب هذه الخرافة ، كما يذكر ديلافاليه ، كان البدو الرحل يهابون المكان ولا يقتربون منه ، وأشار سيسيني²² الى أن إحدى القبائل البدوية كانت تقوم بسرقة زوار هذه الآثار وتمنع من زيارتها وان العرب كانوا يعتقدون بقصة هاروت وماروت هذه ، ومن الجدير بالذكر ان اشارة قد وردت في القرآن الكريم لخبر هاروت وماروت في بابل²³ . ويحدثنا أيهلوت عن شخص أسمه أسود قال انه رئيس عماله الذين تولوا مساعدته في تفحص الآثار والبحث فيها عن ما يثير الاهتمام من الدفائن ، ويبدو انه من أهل المنطقة ، قال أيهلوت : " ... وهو رجل يثير الاهتمام ، في نحو الخمسين من عمره ، ولم يزل منذ ثلاثين سنة يعمل في التنقيب عن الأجر ... لبيعه في الحلة حيث يستعمل في تشييد الدور الجديدة ، ولا حاجة الى القول بأن أسود ، وهو يحفر مثل هذه الأرض الخصبة بلا انقطاع ، قد عثر بلا ريب على تحفة ثمينة ، ولكنه مع ذلك لم يجمع ثروة ما لأنه امتاز بالحصافة والتسامح مع الاجانب الذين كثيرا ما تغاضوا عن مصلحته ، وقد أصبحت امانته مضرب الأمثال ... فهيء لهذا الرجل الذي قضى عمره في الاطلاع على كمية هائلة من المواد والآثار القديمة أن يحصل ولا شك على ضرب من العلم العملي في هذا الباب لا غنى عن الاستئناس به ... فعجبت لسعة معلوماته ودقتها "²⁴.

يتضح من هذا النص أن ثمة علاقة بين آثار بابل وبين السكان المحليين ولا سيما أهالي الحلة ، جعلت حياتهم اليومية تتأثر بوجود هذه الآثار حتى أضحى بعضهم خبير بمواقعها بل أن كثيرا من بيوت الحلة قد بنيت بالأجر المستخرج من تلك الآثار التي تعود الى آلاف السنين . وفي ضوء ذلك لابد أن يكون لمؤرخنا أحمد سوسة صلة ما بآثار بابل بوصفها جزء حيوي مهم من بيئته التي نشأ فيها ، ويقول سوسة في هذا الصدد : " ... أما بابل فلم تفارقني آثارها طيلة الفترة الأولى من حياتي حيث كان أجراها الذي يحمل أسماء ملوكها الأوائل على جدران بيوتنا إذ أنشئت من الأجر المنتزع من بنايات ببابل الضخمة ، وأما أطلال كيش فكانت تقع في صحراء قاحلة غير مأهولة آنذاك تعرف باطلال الأحيمر لذلك فكان لابد من زيارتها برفقة الجندرية للمحافظة . وبحكم مركز والدي كان علماء الآثار يراجعونه لإرسال الأدلة معهم . لقد كان هذا التراث الحضاري التليد مصدر ولعي منذ الصبا حيث كنت وانا لم أطو بعد العاشرة من عمري أتردد على بابل كلما سنحت لي الفرصة لذلك ... "²⁵.

ان هذه البيئة المميزة التي نشأ فيها سوسة حرة بأن يبحث عن أثرها في سيرته العلمية الحافلة ومنهجه المتفرد في البحث التاريخي .

ابتدأ نشاط الكتابة عند أحمد سوسة منذ كان طالبا في الجامعة الأمريكية في عام 1924²⁶ . وبعد أن أكمل دراسته في الجامعة الأمريكية في بيروت سافر الى الولايات المتحدة الأمريكية ، واختار التخصص بهندسة الري بناء على تأثره ببيئة العراق النهرية ورغبة بالإسهام في خدمة البلد وتحقيق نهضته ، بحسب ما أكده أحمد سوسة في مذكراته²⁷ ، وبعد تخرجه وعودته الى العراق عين بوظيفة نائب مهندس في مديرية الري العامة في الخامس والعشرين من شباط عام 1931²⁸ ، وفي أثناء خدمته الوظيفية ، وحتى وفاته في السادس من شباط عام 1982 نشر مقالات وبحوث وألف عددا من الكتب درس فيها نظام الري في

وباللغة الانكليزية:

"Iraq in Babylonian Maps" Bulletin of the Republic of Iraq, London, Sept. 1961, pp. 2-8.

"An Illustrated Handbook of Iraq or Iraq in Maps," Surveys Press, Baghdad, 1962.

لقد تمكنت أزمة الانتماء التي عانى منها أحمد سوسة من دفعه الى أعمال التفكير في تاريخ الأديان والعقائد وتتبع تطورها والمقارنة بينها وخوض غمار الدراسة الأكاديمية العليا وتحصيل شهادتي الماجستير والدكتوراه في الآداب من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية²⁹ ، ولم تكن حصيلة هذا التفكير والدراسة الوحيدة إعلان إسلامه عام 1936، بل كانت الحصيلة تركة ثرية من المؤلفات ذات الصلة بالأديان والعقائد . ومن الأمثلة على ذلك :

- 1- في طريقي الى الاسلام. الجزء الاول، المطبعة السلفية، القاهرة، 1936.
- 2- في طريقي الى الاسلام. الجزء الثاني، مطبعة الغري، النجف، 1938.
- 3- الاسلام والنصرانية، بحث اعده عام 1929 في شيكاغو ملحق بكتاب في طريقي الى الاسلام.
- 4- كلمة بمناسبة المولد النبوي الشريف نشرت في جريدة الزمان، عدد 13 شباط 1946.
- 5- شهيد المبدأ، مقال عن الامام الحسين (ع)، مجلة الغري، العدد 9-10، السنة الثامنة، 7 كانون الثاني، 1947، ص 40.
- 6- امام الاخلاق، مقال عن الامام الحسين (ع)، مجلة الغري، العدد 11-14، السنة التاسعة، 30 كانون الاول، 1947، ص 26.
- 7 - صفة التلمود والزدهر في الديانة اليهودية، بحث نشر في مجلة مركز الدراسات الفلسطينية اذار - نيسان 1977.
- أما التطورات السياسية في العراق والبلاد العربية طيلة حياة سوسة فقد أسهمت في تحولاته في مجالات التأليف بحسب متطلبات الثقافة السياسية السائدة ، ففي الوقت الذي تركزت

العراق قديما وحديثا ، في العهود البابلية والآشورية والإسلامية فضلا عن واقع ري العراق المعاصر ، كذلك درس الجغرافية التاريخية للعراق وخطط بغداد .

من الأمثلة على منجزه العلمي في هذا الشأن :

- 1 - وادي الفرات ومشروع الحبانية، ج1، مطبعة الحكومة، بغداد 1944.
- 2- وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، ج2، مطبعة المعارف، بغداد 1945.
- 3- في ري العراق، ج 1 -نهر الفرات، مطبعة الحكومة، بغداد 1945.
- 4 - ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، جزئين، مطبعة المعارف، بغداد 1948.
- 5- مشروع سنحاريب لآراء منطقة نينوى، مطبعة المجمع العلمي العراقي بغداد، 1962.
- 6- الري والحضارة في وادي الرافدين، مطبعة الاديب، بغداد، 1968.
- 7- تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الاثرية والمصادر التاريخية، جزئين، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1986.
- 8 - موجز تاريخ خطط بغداد، بحث نشر في مجلة المهندس التي تصدرها جمعية المهندسين العراقية في عددها الرابع (كانون الثاني 1963) من السنة السادسة ص ص 5-12.
- 9 - هندسة مدينة المنصور وبنائها، بحث نشر في نشرة نقابة المهندسين العراقية العدد (44) كانون الثاني - شباط - اذار 1966، ص ص 96-98.
- 10 - مدينة المنصور وجامعها، بالاشتراك مع مصطفى جواد، بحث نشر في مجلة سومر العراقية في العدد 1، 2 لسنة 1966، ص ص 1-12.
- 11- العراق في مصادر الاقاليم والبلدان والرحلات العربية، بالاشتراك مع جعفر الخليلي، مخطوط.

سوسة العلمي حتى عد كتابه الرب واليهود في التاريخ مفخرة
مفاخر العرب³¹.

**المبحث الثاني : تجليات البيئة وأزمة الانتماء في موضوعية
الكتابة التاريخية**

لعل من أهم ما يميز البحث التاريخي عن البحث في العلوم
الصرافة هو تلك الصلة الأكيدة بين الذات العارفة وموضوع
المعرفة ، اذ لا يمكن القفز على واقع تلك الصلة المتمثلة بان
الذات العارفة (الباحث) وموضوع المعرفة يتحدان في ماهية
واحدة هي الانسانية ، بعبارة أخرى ما دام الباحث في التاريخ
انسان وموضوع البحث فيه انسان أيضا فلا مجال لإلغاء تلك
الصلة بينهما كما يحدث غالبا في العلوم الطبيعية³²؛ لذلك من
الاعتيادي أن نجد في منهج أحمد سوسة في كتابة التاريخ ، كغيره
ممن مارسوا الكتابة التاريخية ، ما يعكس العلاقة التي أشرنا
إليها آنفا .

تمثل مسيرة منهج البحث التاريخي وتطوره محاولة جادة لضمان
تحقيق أكبر قدر ممكن من التجرد لدى الباحث عن ذاتيته ،
حتى باتت الموضوعية في الكتابة التاريخية أهم مظاهر الالتزام
المنهجي ، وكلما ابتعد الباحث في حقل التاريخ عن الذاتية كان
أقرب الى الوصول الى الحقيقة التاريخية المنشودة . وبالإمكان
تلمس مظاهر الذاتية في بعض المواضع من كتابات أحمد سوسة
وكالاتي:

الحكم الأخلاقي : حاول أحمد سوسة اصدار بعض الأحكام
الأخلاقية في دراساته التاريخية ولاسيما لدى نقده للتوراة
والتلمود ، بوصفهما جزء من التراث اليهودي ، فقال بشأن
قوانين الحرب في التوراة : " أن أغرب ما يلاحظه المتتبع لمدونات
التوراة هو الأمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ وحتى اليهائم
ففي التعاليم الخاصة بحرب الموسويين مع أهل فلسطين
وردت الوصايا التالية :

1 - احترز من أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت
إليها لئلا يصير فخ في وسطك³³

مؤلفاته في العهد الملكي حول نظام الري في العراق شهدت مرحلة
العهد الجمهوري المتعاقبة ، وهي مرحلة الصراع الدامي مع
الكيان الصهيوني، اهتماما واضحا من أحمد سوسة بتاريخ
العرب واليهود في مؤلفات عدة ، ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

1- العرب واليهود في التاريخ - حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات
الاثنية طبع اربع طبعات على الوجه الاتي:

أ- الطبعة الاولى، مطبعة الحكومة، بغداد، 1972.
ب - الطبعة الثانية، على اوفست دار الاعتدال بدمشق، 1973
صدر عن المكتب العربي للاعلان والنشر بدمشق.
ت - الطبعة الثالثة، على اوفست دار الاعتدال بدمشق، 1974
صدر عن المكتب العربي للاعلان والنشر.
ث - الطبعة الرابعة، منقحة ومفصلة اصدرها المكتب العربي
للاعلان والنشر بدمشق بجزيئين سنة 1975.

ج - الطبعة الخامسة، بعنوان: مفصل العرب واليهود في التاريخ
مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1981.

2 - اليهودية في جزيرة العرب، مجلة مركز الدراسات
الفلسطينية، العدد 3، مجلد 4 كانون الاول 1975، ص ص9-50.

3- حضارة العرب وحضارة الغرب، حوار معه في مجلة افاق
عربية، السنة الثالثة، العدد 10، حزيران 1978، ص ص96-113.

4- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق
أ - الطبعة الاولى، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد،
1978.

ب - الطبعة الثانية، مزينة ومنقحة، الدار العربية للدراسات
والنشر عمان، 2001³⁰.

5 - الصهيونية - عرض موجز لتاريخها واهدافها - مخطوط.
لقد لاقت مؤلفات أحمد سوسة ولاسيما تلك المتعلقة بأسبقية
الحضارة العربية في فلسطين رواجاً وانتشاراً منقطع النضير ،
واهتمت الصحافة العربية والمؤسسات الرسمية بمنجز أحمد

2 - وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما : الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والهوريين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك .³⁴

3 - اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها لكن جميع الاطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكرا بقوهن لكم حيات .³⁵

ويضيف سوسة بهذا الشأن وفي غزو إسرائيل لمدينة أريحا دمر الموسويون المدينة وأحرقوها بالنار وقتلوا كل من فيها من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بأمر إلههم يهوه كما جاء في التوراة "...³⁶

وعلى الرغم من أن ما أورده أحمد سوسة في الشأن المذكور جاء في محاولة إثباته تحريف التوراة من قبل الكهنة اليهود في بابل ، لكن هذا الحكم الأخلاقي بالإدانة الواضحة التي اعرب عنها احمد سوسة لهذه الجرائم التي ارتكها اليهود بأمر التوراة تجاه النساء والاطفال بل وحتى الهائم ، لم نجده في كتاباته حينما يرد ذكر ما تعرض اليه اليهود من حالات مشابهة ، وان كانت نادرة ، على يد البابليين في أثناء السبي البابلي ، اذ نقل أحمد سوسة أخبار السبي البابلي الثاني قائلا : " ... فدخلت الجيوش البابلية المدينة [أورشليم] في اليوم الرابع من شهر تموز سنة 586 ق.م . أما صدقيا [ملك يهوذا] فهرب هو و أفراد عائلته ، ولكن البابليين لحقوا به في سهول أريحا حيث قبضوا عليه وحملوه الى (ربلة) حيث مقر معسكر الملك نبوخذ نصر ، وهناك ذبح أولاده أمام عينيه ، ثم فقت عيناه ، وأخذ مكبلا مع الأسرى إلى بابل ، أما أورشليم فخربت ودمرت تدميرا كاملا فأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء وسلبت الخزائن ونقلت الى بابل ، وقد خمن عد الأسرى الذين سيقوا الى بابل ليلتحقوا باليهود من السبي الأول بحوالي 50000 نسمة ..."³⁷

ولعلنا لا نجانب الصواب اذا قلنا اننا نجد العكس من ذلك تماما اذ يبدو أن هذه الأعمال التي قام بها نبوخذ نصر كانت مبررة عند أحمد سوسة وذلك بالالتفات الى ما ذكره عن اسباب الحملتين البابليتين ، فقال في هذا الصدد : " ... فتشير التوراة الى أن الملك (يهوياقيم) ملك يهوذا (608-597 ق.م) تمرد على نبوخذ نصر على الرغم من تحذير النبي (أرميا) له ، وذلك بعد أن أظهر طاعته وخضوعه إلى العاهل الكلداني فشَنَّ نبوخذ نصر سنة 597 ق.م حملة على (يهوياقيم) وحاصر أورشليم إلا أن (يهوياقيم) توفي أثناء هذا الحصار فخلفه ابنه (يهوياكين) الذي اضطر الى الاستسلام فسبى نبوخذ نصر كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس عشرة آلاف صبي وجميع الصناع والأقيان ، لم يبق أحدا إلا مساكين شعب الأرض ، كما سبي (يهوياكين) وأمه ونساءه ورجاله من أورشليم إلى بابل . وأخرج نبوخذ نصر جميع خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وكسر كل آنية الذهب ، ثم عَيَّن (صدقيا) عم (يهوياكين) الذي أكد ولاءه للملك الفاتح خلفا ليهوياكين "³⁸

كذلك يذكر احمد سوسة ان الحملة البابلية الثانية جاءت على أثر نقض صدقيا لعهد الولاء الى نبوخذ نصر ، متجاهلا تحذيرات أرميا ، اذ يعد تحالفه مع المدن السورية والفلسطينية سنة 589 ق.م ، ضمنا ، تحالفا ضد نبوخذ نصر ، مما أغضب الملك البابلي . قال سوسة : " ... فغضب نبوخذ نصر غضبا شديدا وجاء هذه المرة بنفسه على رأس حملة قوية ..."

ان النفس التبريري الذي يمكن ان يتلمسه المرء في معالجات أحمد سوسة لهذا الموضوع يخالف تماما نغمته على ما فعله اليهود من جرائم بناءً على ما ورد في التوراة . وهنا يظهر أثر البيئة السياسية التي كان أحمد سوسة محاطا بها في ظل توجهات سياسية قومية اعتادت توظيف التاريخ دعما للقضية الفلسطينية التي تعد القضية المركزية في الثقافة السياسية العربية. واذا كان الاحتلال الاسرائيلي الحالي للأرض الفلسطينية في خضم الصراع العربي الاسرائيلي في الستينيات والسبعينيات

يحيلنا النص أعلاه الى نقطة مهمة ذات صلة مباشرة بأزمة الانتماء التي عانى منها سوسة في مراحل من حياته ، وهي ذهابه الى أن أصل أسرته يعود الى قبيلة بني سوسة اليمنية التي هاجرت من منطقة رعين الى منطقة الفرات الأوسط في عهد عمر بن الخطاب ، وهذه الهجرة تمثل عند أحمد سوسة موجة من موجات الهجرات العربية الى الهلال الخصيب. وقد سكن بنو سوسة في مناطق متفرقة على ساحل الفرات وكانت إحدى القرى التي أسسوها هي قرية سوسة قرب منطقة البوكمال⁴⁰.

ويرد ذكر هذه المنطقة ، أي البوكمال ، في موضع آخر يتعلق بهجرة العموريين الذين ذكر أحمد سوسة أنهم بعد أن هاجروا من جزيرة العرب الى الأقسام الشمالية لبلاد الشام ثم انتشروا هنالك وأسسوا وطنهم الجديد اتخذوا مدينة ماري ، التي تقع الفرات على مسافة 15 كم الى الشمال من بلدة البوكمال، عاصمة لهم⁴¹.

ولا ينبغي أن نتجاهل ، ونحن بصدد بيان تجليات الذات في آراء أحمد سوسة ، المكانة التي يحتلها نهر الفرات في فكر أحمد سوسة ربما لأنه الحلقة الواصلة بين أصوله اليهودية وبين العراق وحضاراته المتعاقبة وكذلك العروبة والاسلام⁴² . وليس الدليل على ذلك اهتمامه العلمي بالكتابة عن حوض الفرات فحسب ، بل إن من أهم الأدلة التي لدينا بهذا الشأن أنه عندما كتب روايته الموسومة بـ مأساة اللطيفية التي تقع أحداثها الحقيقية في منطقة اللطيفية الزراعية جنوبي بغداد وضع لأبطالها أسماء مستعارة واختار له بوصفه كاتباً اسماً مستعاراً هو ابن الفرات !

لقد ضمّن أحمد سوسة روايته مأساة اللطيفية معاناته من بعض رجالات العهد الملكي في العراق ، وقد كشفنا عن أسمائهم في دراسة سابقة⁴³ عن طريق المقارنة بين حوادث الرواية وبعض الوثائق الرسمية المتصلة بذلك العهد . ولم تكن مأساة اللطيفية هي المأساة الوحيدة في حياة أحمد سوسة فثمة صلة ذاتية تربطه بمضمون كتابه مأساة هندسية أو النهر المجهول ، الذي يتضمن البحث في أسباب اندثار النهر الجعفري وهو النهر الذي

من القرن الماضي يعد مبرراً كاف لكل ما يمكن اتخاذه من إجراءات ضد المستوطنين الصهاينة ؛ من أجل تحقيق هدف التحرير، بحسب الثقافة التي أفرزها الصراع المذكور ، فان الظروف التاريخية التي أحاطت بالهملتين المذكورتين على أورشليم قبل أكثر من ألفي وخمسمائة عام كانت ظروفًا مغايرة تماما ، إذ كانت مرتبطة بالدرجة الأولى ، بالأوضاع والصراعات السياسية بين دول المنطقة آنذاك ، ولم تكن موجّهة لتحرير أرض تابعة للدولة البابلية .

حضور الذات في التعليل التاريخي : تكشف بعض نصوص أحمد سوسة عن تأثير بعض التعليلات التاريخية لديه ببعض الأسقاطات الذاتية ، ومن ذلك ما نلاحظه من محورية الهجرة من الجزيرة العربية لديه وعدها أس الحركة الحضارية والسبب الرئيس في تطور الحضارة العربية ، مركزاً في ذلك على هجرات سكان الجزيرة العربية الى منطقة الهلال الخصيب وحوض الفرات على شكل موجات متتالية ، مع التأكيد على عروبة القبائل المهاجرة وإيراد أمثلة عدة لإثبات أن الهجرة الى العراق وبلاد الشام هو ديدن القبائل العربية عبر العصور المختلفة وحتى وقتنا الحاضر ، حيث ذكر أحمد سوسة هجرات عدة حدثت في التاريخ المعاصر قائلا : " ومن أمثلة الهجرات الحديثة هجرة قبائل شمر من ديارها في الجزيرة (أراضي نجد منطقة حائل) ، فقد نزحت جماعات من هذه القبائل الى العراق على موجتين متتاليتين ، الأولى قبل خمسمائة سنة ومن بقاياها جماعة (الغرير) التي صارت تمارس الزراعة في منطقة المحمودية وجماعة (زويج) في الفلوجة وغيرها من العشائر المستقرة التي تسكن أرض السواد ، وأما الموجة الثانية فهي أحدث وقد دخلت العراق قبل 300 سنة تقريبا ، ومن بقاياها عشائر (شمر الجربا) التي استقرت في الأراضي الممتدة ما بين نهري دجلة والفرات في شمالي الخط الواصل ما بين بغداد والفلوجة ..."³⁹.

تطلب الأمر منه أن يبقى لأيام عدة مقيماً الى جانب هذا الموقع أو ذاك لغرض الفحص والتتبع والتحقيق .

فقد اضطرت الدراسة التي أجراها للبركة الجعفرية في سامراء " إلى الإقامة الى جانب البركة أياماً عدة ، لتفقد معالمها ومعرفة اتجاهاتها ودراسة أساليب انسياب مياه نهر نيزك⁴⁶ اليها في أرض تفتريتها الحلل السندسية وبين التلول الصناعية ودكات متناسقة " ⁴⁷ . وقد تضافرت هذه الجولات الميدانية مع الخبرة الفنية في مجال هندسة الري كما أشرنا ، لتشكّل مورداً مهماً من موارد أحمد سوسة في دراساته التاريخية ، مما ساعده في التوصل الى آراء مهمة ربما لا يستطيع غير المختص بالهندسة أن يتوصل إليها . ومن هذه الآراء التي وردت في بعض مؤلفاته :

تعيين موقع مدينة واسط : حصلت مساجلة بين دائرة الآثار العراقية والدكتور مصطفى جواد حول تعيين موقع مدينة واسط ، وأكد الدكتور فؤاد سفر الذي نقب في آثار واسط عام 1942 أن خرائب المنارة هي آثار واسط إلا أن الدكتور مصطفى جواد أبدى شكوكه بشأن الموضوع لعدم وجود ما يثبت أن خرائب المنارة هي واسط الحقيقية محتملاً أن يكون موضع خرائب المنارة من بقايا قرية عبد الله التي ذكرها ابن عبد الحق (ت739هـ) في المراصد بقوله : " إنها مدينة ذات أسواق وجامع كبير وعمارة تحت واسط بينهما نحو خمسة فراسخ ... " ⁴⁸ ، أو من بقايا بلدة المأمّن التي وردت عند ابن الفوطي في حوادث سنة 680هـ ، وكان رأي أحمد سوسة مؤيداً لما ذهب إليه دائرة الآثار العراقية حيث قال : " أما نحن فنرى أن الدكتور مصطفى جواد لم يكن موفقاً فيما ذهب اليه ، وإن الرأي القائل بأن خرائب المنارة هي واسط الحقيقية ، أمر لا يقبل الشك ، وقد اهتدينا الى هذا الرأي بعد دراسة دقيقة لجغرافية أنهر واسط وتتبع آثار الأنهر القديمة في تلك المنطقة وتعيين مواضع المدن والقرى التي لا تزال تحتفظ بأسمائها الأصلية ، وبكفي المرء أن يتفقد القطع الحجرية المنتزعة من أساطين الجامع التي اكتشفتها دائرة الآثار في موضع خرائب المنارة الواقعة على

حفره الخليفة المتوكل (232-247هـ) لإيصال الماء الى مدينة المتوكلية التي بناها جنوب سامراء⁴⁴ . وفي هذا الكتاب تحديداً تتجلى أزمة الانتماء التي ذكرناها بشكل واضح ، إذ هناك صلة بين فشل مشروع النهر الجعفري وتأمّر بعض المهندسين في ذلك العصر على كل من يعقوب بن اسحق الكندي وسند بن علي ، وللدكتور عماد الجواهري إلماحة مهمة في هذا الشأن ، إذ يقول : " على إن الأكثر إثارة للتأمل والذي لم يصرح به كاتب المسألة هو إن الكندي وسند بن علي كلاهما يهوديان أسلموا في عهد الخليفة المأمون العباسي وكانا قريبين من مشورته ومشورة من أتى بعده لكنهما كانا محل حسد بعض أقرانها في الصناعة وهذا هو جرح مؤرخنا الذي ظل يئن منه بصمت على مدى الأيام في عهد الملكية⁴⁵ .

المبحث الثالث : الخبرة التخصصية والمنهج الميداني :

أثرت البيئة التي عاش فيها أحمد سوسة مثلما ذكرنا في المبحث الأول في تعلقه في الري ورغبته الشديدة بالتخصص بالهندسة المدنية وهذا ما تحقق له حينما درس في الجامعات الأمريكية وتخرج فيها مهندساً مدنياً ، لكن هذا التأثير لم يقف عند هذا الحد ، بل من الملاحظ ان هذا التخصص تجلّى في منهج أحمد سوسة في كتابة التاريخ ، حينما لجأ في كثير من أبحاثه الى استعمال الخبرة التخصصية بهندسة الري واعتماد المنهج الميداني بحثاً عن حقائق تاريخية .

لقد طغى الطابع الفني على كثير من أبحاث أحمد سوسة التاريخية مثل : (ري بغداد في عهد الخلافة العباسية) و(دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً) وغيرها من المؤلفات ، وقد تطلب الأمر منه أن يقوم بجولات ميدانية في المناطق التي تناولها بالبحث لغرض تتبع الآثار المتبقية فيها ، وإعادة رسم الصورة القديمة عن المدينة أو النهر أو أي موقع جغرافي تناوله في دراسته مستثمراً خبرته التخصصية في هندسة الري التي كانت عوناً في تفسير الكثير من الظواهر التاريخية والجغرافية التي أغفلت المصادر التاريخية تفسيرها ، وربما

هذا الموضوع يقع الواحد الى جانب الآخر ، المجرى الأصلي القديم ، ثم المجرى الجديد على الجانب الأيسر منه وهو المجرى الذي انشئ الناظم فيه في اليابسة وقد حولت المياه إليه بعد الانتهاء من انشاء الناظم عليه ، وهذه هي الطريقة المتبعة في أكثر الحالات في انشاء مثل هذه المشاريع ، وأحسن مثال لذلك مشروع قناطر الهندية الذي انشئ على الفرات على هذا الشكل أيضا " ⁵¹.

الشك في رواية ابن سراييون حول قواطيل دجلة أسفل سامراء : ان دراسة أحمد سوسة لآثار الأنهر المتفرعة من دجلة في أسفل سامراء القديمة وطبيعة الأرض هناك دعتة الى أن يتشكك من رواية ابن سراييون حول وجود ثلاثة قواطيل تأخذ المياه من نهر دجلة من أسفل سامراء بفرسخين ، فقال في هذا الصدد : "... إن ابن سراييون توهم فذكر أن هناك ثلاثة قواطيل تأخذ المياه من نهر دجلة من أسفل (سر من رأى) بفرسخين بين (المطيرة) و(بركوارا) وهذه تنصب في القاطول الأعلى الكسروي ، وقد سعى الأول من الشمال (اليهودي) وعليه قنطرة ورصيف ، وسعى الثاني وهو الأوسط (المأموني) ، أما الثالث فسماه (أبا الجند) ووصفه بأنه : أجليا وأعمقها شاطيا. ولا شك في أن قاطول أبي الجند الذي يشير إليه ابن سراييون ويصفه بأنه أكبر القواطيل الثلاثة ، هو القاطول الأسفل (قاطول الهثير أو مجرى القائم) الذي ذكره المؤرخون العرب ... أما القاطولان الآخران فلم يرد ذكر لهما في أي مصدر آخر ، عدا تقويم البلدان لأبي الفداء ولا شك في أن رواية أبي الفداء منتقاة من كتاب ابن سراييون ، إذ نلاحظ أن النص الذي ورد في كتاب ابن سراييون نقل حرفيا ، وذلك لا يتفق مع الواقع لان طبيعة الأرض هناك لا تساعد على فتح مجرى من نهر دجلة في هذا المكان ، ثم صبه في القاطول الكسروي الأعلى بدليل أن الأراضي في هذه المنطقة تنحدر من القاطول الأعلى وهي تهبط في مستواها كلما اقتربت من نهر دجلة ، حتى تنتهي إلى أخفض نقطة عند نهر دجلة " ⁵².

الضفة الغربية من الدجيلة لحصول القنطرة التامة من أن تلك الخرائب هي من بقايا واسط ؛ لان وزن كل قطعة من هذه القطع يبلغ حوالي الطن الواحد ولا يمكن أن تكون قد انتقلت هذه الأحجار من محاجرها في المنطقة الجبلية الى موضع المنارة لإنشاء قرية اعتيادية كقرية عبد الله او قرية المأمون " ⁴⁹.

لا شك في أن هذا التحري الدقيق لموقع مدينة واسط هو تجلٍ لتأثير التخصص بالهندسة المدنية في المنهج التاريخي .

أسباب توقف المتوكل عن اتمام مشروع قناة سامراء : لقد توصل أحمد سوسة إلى أن أسباب توقف المتوكل عن إتمام مشروع قناة سامراء التي أراد إيصالها الى حير الوحوش تتلخص بعدد المسافة عن صدر القناة وعدم وصول مياهها لارواء كل الأراضي التابعة للحير ، فقال : " ونميل الى الاعتقاد بأن الذي حمل المتوكل على توقفه عن اتمام هذا العمل هو أن موقع الحير فضلا عن وقوعه بعيدا جدا عن صدر القناة الرئيسية الذي يستمد المياه من دجلة فوق الدور ، مما يجعل تموين المياه الدائمة الى الحير مشكوكا فيه ، فإن مياه القناة لا تحقق ارواء كل أراضي الحير بل تقتصر على قسم قليل جدا منه ... لذلك عمد الى إعادة إحياء نهر القادسية القديم ... ونستدل من تتبعاتنا ودراساتنا لهذه المنطقة أن المتوكل نفذ ما اقترحه عليه الخبراء في هذا الشأن ، وبذلك حقق مشروع الحير الذي كان يصبو إليه " ⁵⁰.

عهد نشاء الناظم على مجرى القاطول الأعلى الكسروي في سامراء : يستدل أحمد سوسة من خلال دراسته لآثار هذا الناظم الى أن انشاءه تم في العهد العربي فيقول في هذا الصدد : " ومما يدل على أن انشاء هذا الناظم يرجع الى العهد العربي هو أن نهر القاطول حول في هذا الموضوع من مجراه الأصلي ليتسنى بناء الناظم على المجرى الجديد في اليابسة ، وهكذا تشاهد آثارا لمجريين في هذا الموضوع من مجراه الأصلي ، ليتسنى بناء الناظم على المجرى الجديد في اليابسة ، وهكذا آثارا لمجريين في

• أثمرت متابعاته لتاريخ الأديان والعقائد والاقوام لتأليفه عددا من الكتب والبحوث والمقالات المهمة في هذا المجال ، عكست مواقف من ديانتها القديمة اليهودية ومقارنتها بالاسلام .

• تجلت أزمة الانتماء عند أحمد سوسة في اتخاذ موقف ثقافي من القضية الفلسطينية متمثلا بمجموعة من البحوث والمؤلفات التي تدعم الحق العربي الفلسطيني بأرض فلسطين .

• اندمج أحمد سوسة بالوسط الثقافي العربي والاجواء الثقافية السائدة في الستينيات والسبعينيات التي غلب عليها الطابع القومي وتسخير الآراء والمنجزات البحثية في التاريخ لصالح القضية الفلسطينية ، فلم يتمكن من الانفلات من هذه الأجواء مع أنه حافظ في أكثر الأحيان على علمية التحقيقات التي ينجزها وورصاتها .

• تعرض أحمد سوسة الى بعض المضايقات من الوسط الاداري في العهد الملكي ربما بسبب انتمائه الديني السابق ، حتى تجلت تلك المعاناة في بعض كتب المذكرات التي ألفها وبعض المؤلفات والآراء التاريخية .

• استعمل أحمد سوسة خبرته التخصصية في هندسة الري ووظفها لخدمة التاريخ فتجلى المنهج الميداني في كثير من بحوثه ومؤلفاته ذات الطابع الخططي والآثاري ، وتوصل من خلالها الى نتائج مهمة كانت تفوق في قربها من الواقع تلك الآراء التي صرح بها المعاصرون لتلك الحوادث الغارقة في القدم .

• قدم أحمد سوسة نفسه عربيا من قبيلة يمانية أصيلة تهودت بالتبشير ونزحت الى الفرات الأوسط ، ثم تجلى هذا الرأي في محورية حوض الفرات في بحوثه ومؤلفاته ومن ثم في محورية الهجرات العربية من الجزيرة الى الفرات الاوسط في حركة التاريخ الحضاري .

إن هذه الآراء التي نقلناها عن أحمد سوسة وغيرها مما توصل إليه في مختلف مؤلفاته ذات الطابع الجغرافي لندلنا على تجليات الخبرة التخصصية في منهجه التاريخي وتؤكد على حقيقة مهمة في مجال البحث العلمي وهي أثر العلوم الأخرى في التوصل الى حقائق تاريخية الى درجة أنها تفوق في أهميتها أحيانا مسألة قرب المؤرخ زمانيا من الوقائع التاريخية ، فابن سراجيون مثلا ، أقرب زمانيا إلى العصر الذي يروي عنه مؤرخنا أحمد سوسة إلا أن الأخير توصل بما لا يقبل الشك الى خطأ ابن سراجيون فيما يتعلق بالقواطيل الثلاثة ، وذلك لان روايته لا تنسجم مع الواقع الطبيعي ومن ثم فهي لا تصمد أمام القواعد العلمية .

الخاتمة :

استنادا الى ما تقدم يمكن للباحث ان يسطر أهم الاستنتاجات التي تولدت من خلال البحث :

• ولد أحمد سوسة في بيئة مدينة الحلة وما جورها ذات الاجواء المميزة من النواحي الطبيعية والاجتماعية والثقافية وكان لهذه الأجواء تأثيرا مهما في شخصيته تجلى في سيرته العلمية ومنهجه في كتابة التاريخ .

• تأثر أحمد سوسة بالطابع الزراعي في الحلة وما يتطلبه من نظام للري تكفل به نهر الفرات فتعلق منذ صباه بمشاريع الري وشبكة الأنهر في منطقة بابل حتى كان ذلك التعلق الحافز الرئيس الذي حفز احمد سوسة للتخصص بهندسة الري .

• عاش أحمد سوسة في بيئة ذات أغلبية مسلمة وفي أسرة يهودية فأحس ببعض التناقضات مما خلق نوعا من أزمة الانتماء لديه بين بيئته العربية الاسلامية العامة وبيئته الاسرية اليهودية الخاصة مما أثار تفكيره ومتابعاته وقراءاته لتاريخ الأديان والعقائد ودراستها دراسة حقيقية ومن ثم تجلى ذلك في منهجه في كتابة التاريخ .

الهوامش :

- 1 حياتي في نصف قرن ، ص 114.
- 2 ايداد كاظم راجح ، المؤرخ أحمد سوسة منهجه وموارده في تدوين تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص 7.
- 3 معجم البلدان ، ج 2 ، ص 294.
- 4 يوسف كركوش الحلي ، تاريخ الحلة ، ص ص 1-2.
- 5 رحلة آينهولت الهولندي الى العراق ، سنة 1866-1867 م ، ص 209.
- 6 رحلة دلالفاليه الى العراق ، ص 60.
- 7 تاريخ الحلة ، ص 152.
- 8 لمزيد من التفاصيل بشأن تحول مجرى الفرات الى نهر الهندية ينظر : أحمد سوسة ، وادي الفرات - مشروع سدة الهندية ، بغداد: مطبعة المعارف ، 1945 ، ص ص 261-267؛ طارق نافع الحمداني ، افتتاح سدة الهندية الاولى في تشرين الاول 1890..سدة (شوندورفر) في الهندية.. كيف أنشئت وكيف انهارت؟! ملاحق صحيفة المدى ، العدد الصادر يوم 22 / 10 / 2017 ، <https://www.almadasupplements.com/view.php?cat=19165>
- 9 حياتي في نصف قرن ، ص 114.
- 10 الأب دومينيكو سيستيني ، العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة 1781 ، ص 180.
- 11 رحلة آينهولت الهولندي الى العراق سنة 1866-1867 م ، ص 210.
- 12 يوسف كركوش الحلي ، ص 148.
- 13 ينظر بهذا الشأن : أحمد سوسة ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، ص 123 وما بعدها .
- 14 رحلة بنيامين التطيلي ، ص ص 306-313.
- 15 ينظر : حياتي في نصف قرن ، ص ص 55-70 .
- 16 المرجع نفسه ، ص 71.
- 17 في طريقي الى الاسلام ، ج 1 ، ص ص 13-14.
- 18 ينظر بشأن مدرسة الإلياناس : يوسف رزق الله غنيمه ، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، ص ص 177 ، 178.
- 19 أحمد سوسة ، حياتي في نصف قرن ، ص 109.
- 20 ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 121-122 ، 127.
- 21 رحلة دلالفاليه الى العراق ، ص 58.
- 22 العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة 1781 ، ص 179.
- 23 سورة البقرة ، الآية 102.
- 24 رحلة آينهولت الهولندي الى العراق سنة 1866-1867 م ، ص 220-221.
- 25 حياتي في نصف قرن ، ص 34.
- 26 ايداد كاظم راجح ، المؤرخ أحمد سوسة ، ص 43.
- 27 حياتي في نصف قرن ، ص 169.
- 28 ينظر بشأن سيرته الوظيفية : ايداد كاظم راجح ، المؤرخ أحمد سوسة ، ص ص 24-33.
- 29 ينظر : المرجع نفسه ، ص 13.
- 30 ينظر بشأن مؤلفات أحمد سوسة : المرجع نفسه ، ص ص 43-57.
- 31 ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 40-42.
- 32 ينظر بهذا الشأن : أحمد محمود صبيحي ، في فلسفة التاريخ ، ص ص 46-55.
- 33 سفر الخروج ، 34 : 12 .
- 34 سفر التثنية ، 20 : 10 – 17 .
- 35 سفر العدد ، 31 : 17 – 18 .
- 36 مفصل العرب واليهود في التاريخ ، ص 342.
- 37 ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، ص ص 125-126.
- 38 المرجع نفسه ص 125.
- 39 مفصل العرب واليهود في التاريخ ، ص 94.
- 40 حياتي في نصف قرن ، ص ص 53-70.
- 41 المرجع نفسه ص 143.
- 42 بشأن آراء أحمد سوسة بأصل يهود الجزيرة العربية ، ينظر: أحمد سوسة : ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، ص 203 وما بعدها ؛ ايداد كاظم راجح ، القرينة التاريخية وأهميتها في إثبات أصل يهود الجزيرة العربية – دراسة موازنة لآراء إسرائيل ولفنسون وجواد علي وأحمد سوسة ، ص ص 613-624.
- 43 ينظر : ايداد كاظم راجح ، المؤرخ أحمد سوسة منهجه وموارده في تدوين تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص ص 30-32.
- 44 كان محمد واحمد ابنا موسى بن شاعر وهما من المشهورين بالهندسة وعلم الجبل في القرن الثالث الهجري يكيدان لكل من يناقسهما بالشهرة. فتأمرا على سند بن علي وهو عالم فلكي ومنجم معروف فاشخصاه إلى بغداد لابعاده عن الخليفة المتوكل وتأمرا أيضا على يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب والاسلام وأحد ابناء الملوك من كنده الذي اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك حتى ضربته المتوكل ثم صادر ابنا موسى بن شاعر كتبه ووضعها في خزانة خاصة سميت الكندية وتقدم

1. بنيامين التطيلي ، الراي بنيامين بن يونة الاندلسي ، رحلة بنيامين التطيلي (561-569هـ / 1165-1173م) ، ترجمة عزرا حداد ، (أبوظبي، المجمع الثقافي، 2002).
 2. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت662هـ) ، معجم البلدان ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي، 1399 هـ - 1979 م).
 3. ابن عبد الحق ، صفّي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي (ت 739هـ) ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، (بيروت، ط1 ، دار الجيل، 1412هـ).
- المراجع الثانوية :**
- الكتب العربية والمعرية :**
4. آينهولت ، ليكلاما ، رحلة آينهولت الهولندي الى العراق ، سنة 1866-1867م، ترجمة مير بصري، تحقيق وتقديم طارق نافع الحمداني، (ط1، بيروت، الوراق للنشر، 2012).
 5. الحلي، يوسف كركوش تاريخ الحلة، ط1، النجف: المكتبة الحيدرية 1965.
 6. ديلالفايه ، بيترو ، رحلة ديلالفايه الى العراق ، ترجمة وتحقيق الأب د. بطرس حداد ، (بغداد ، 2001) .
 7. سوسة أحمد ، في طريقي الى الاسلام. الجزء الاول، القاهرة: المطبعة السلفية 1936. الجزء الثاني، النجف: مطبعة الغري 1938.
 8. — وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، بغداد: مطبعة المعارف، 1945،
 - 10 — مأساة هندسية او النهر المجهول، بغداد: مطبعة المعارف، 1947.
 - 11 — ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، جزئين، بغداد: مطبعة المعارف، 1948.
 - 12 — حياتي في نصف قرن، بغداد: دار الشؤون الثقافية 1986.

إليهما المتوكل في حفر النهر الجعفري فاسندا امره الى احمد بن كثير الفرغاني الذي انشأ سدا على نهر النيل بمصر وقد أخطأ هذا المهندس خطأ جسيما بان جعل فوهة النهر اخفض من سائرته فلما بلغ الأمر إلى الخليفة المتوكل امر باحضار سند بن علي من بغداد وامره بالتحقيق من امر النهر فأضطر ابنا موسى بن شاكر إلى الرضوخ إلى سند بن علي وطلبا منه أن يعفو عنهما لما بدر منهما بحقه وأن يستر الخطأ الموجود في النهر لأن المتوكل كان قد توعّد بقتلهما اذا ما تبين ان الفرغاني قد اخطأ فعلا في تصميم المشروع فامرهما سند بن علي أن يعيدا خزانة كتب الكندي إليه أولا ففعلا ثم اخبرهما بان الخطأ في النهر سيستتر حتى ينقضي موسم الفيضان وان المتوكل لن تطول حياته الى ذلك الوقت حسب قول المنجمين. وكنم سند بن علي الامر على الخليفة المتوكل ولم يخبره بالخطأ الموجود في النهر وفعلا قتل المتوكل في الثالث من شعبان سنة 247هـ/860م وأفلت الثلاثة من العقاب. أنظر: مأساة هندسية، ص ص 69-73، زغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط1، 1964، ص ص 170-171؛ اياد كاظم راجح ، المؤرخ احمد سوسة ، ص ص 63-65.

45 الدكتور المهندس احمد سوسة، ص 4.

46 هو النهر الذي حفره المتوكل لإرواء حديقة حيوانات في مدينة المتوكلية وقد وردت هذه التسمية في قصائد البحري وورد ذكر هذا النهر في حادثة مقتل بغا الشرايبي ، ينظر : أحمد سوسة ، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، ج 2 ، ص ص 288-289 .

47 أحمد سوسة ، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، ج 2 ، مقدمة المؤلف .

48 مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، مجلد 2 ، ج 3 ، ص 89.

49 تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية ، ج 2 ، ص 213.

50 ري سامراء في عهد الخلافة العباسية ، ج 2 ، ص ص 285-286.

51 المرجع نفسه ، ص 287 .

52 المرجع نفسه ، ص 290.

مصادر البحث ومراجعته

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

المصادر الأولية

انهارت؟! ملاحق صحيفة المدى، العدد الصادر يوم 22 / 10 / 2017

<https://www.almadasupplements.com/view.php?cat=19165>.

Manifestations of the environment and the crisis of belonging in the biography of Ahmed Sousa and His approach to writing history

Dr.Ayad Kadhim Rajeh

Al-Muthanna University / College of Education for Human Sciences

Abstract:

The environment in which Ahmed Susa lived, with its human and geographical nature, and the important historical events he witnessed, represented an important factor in shaping his intellectual personality, until it left a clear impact on his cognitive choices. A clear affiliation suffered by Ahmed Soussa and took a large intellectual and behavioral space from him. This crisis, in turn, was also manifested in his approach to historical research.

Ahmed Susa was born around 1900 AD in the city of Hilla, where he was first born. At that time, al-Hilla brought together many of the diversities of Iraqi society. From a religious point of view, al-Hilla included, along with Muslims of different sects, a number of ancient Jewish families in its neighborhoods who used to live in their neighborhoods. With the rest of her children without disturbances or temptation.

13 — ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط2، مزينة ومنقحة، عمان: الدار العربية للدراسات والنشر 2001.

14 — مفصل العرب واليهود في التاريخ، (ط1، بيروت، بغداد الوراق للنشر، 2014).

15 سيستيني، الأب دومينيكو، العراق في رحلة الأب دومينيكو سيستيني في سنة 1781، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين، مراجعة وتحقيق د. أنيس عبد الخالق محمود، (ط1، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1914).

16 صبيحي، احمد محمود في فلسفة التاريخ، الاسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية 1975.

17 غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق (ط1، بغداد: مطبعة الفرات، 1924).

18 هونكه، زغريد شمس العرب تسطع على الغرب، اثر الحضارة العربية في اوربا، ترجمة فاروق بيضون، كمال دسوقي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر 1964.

19 راجح، اياد كاظم، المؤرخ أحمد سوسة منهجه وموارده في تدوين تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، 2003.

20 الجواهري، عماد احمد الدكتور المهندس احمد سوسة، مجلة دراسات تاريخية، عدد3، تموز - ايلول، السنة الثانية 1421/2000هـ.

21 راجح، اياد كاظم، القرينة التاريخية وأهميتها في إثبات أصل يهود الجزيرة العربية - دراسة موازنة لأراء إسرائيل ولفنسون وجواد علي وأحمد سوسة، ص ص 613-624.

22 الحمداني، طارق نافع، افتتاح سدة الهندية الاولى في تشرين الاول 1890. سدة (شوندورفر) في الهندية.. كيف أنشئت وكيف

On the other hand, the Hilla community combined the characteristics of the countryside with its tribal and agricultural details, and the urban with its commercial economies, culture and civilizational legacy that extends into the depth of history for thousands of years.

Therefore, the follower of the biography of Ahmed Soussa from birth and upbringing to death in 1982 AD, passing through the stages of his academic and career life and his major intellectual transformations, finds a clear presence of his environment in all its details, just as he finds in his approach to writing history a clear impact of his specialized experience in irrigation engineering and his position on the major heavenly religions until He became unique in his approach to his historical issues.